إذا عَـادَتْ بَـنُـو الأعْـجَـامِ تَـهْـوِي
وَقَـدْ وَلّـتْ وَنَـكّـسَـتِ الـبُـنُـودا[١]

تعيّرني العدا بسواد جلدي

قال يفتخر:

[الوافر]

أُعَـادِي صَـرْفَ دَهْـرٍ لا يُـعَـادَى
وَأحْـتَـمِـلُ الـقَـطِـيـعَـةَ وَالـبِـعَـادا[٢]
وَأُظْـهِـرُ نُـصْـحَ قَـوْمٍ ضَـيّـعُـونـي،
وَإنْ خَـانَـتْ قُـلُـوبُـهُـمُ الـوِدادا[٣]
أُعَـلِّـلُ بـالـمُـنـى قَـلْـبـاً عَـلِـيـلاً،
وَبـالـصّـبْـرِ الـجَـمِـيـلِ وَإنْ تَـمَـادى[٤]

(١) هاهم الفرس يرهبون ضربات بني عبس، فإذا بأعلامهم تتحطّم وتنكس وهم يولّون الأدبار جبناً ورعباً.

(٢) الشاعر في عداء دائم؛ فالبشر أعداء تقليديون يمكن الانتصار عليهم أما الدهر فإنه عدوّ ليس بمقدور البشر الدخول في عداء معه، فهو المنتصر دائماً. يستطيع الشاعر تحمّل القطيعة من الأحبة والبعد عنهم، والدهر هو الذي قضى بذلك.

(٣)، (٤) موقفان متعارضان؛ فالشاعر صادق النصح لبني قومه وقومه تنكروا له فأضاعوه بقلوب ملؤها غش وخداع وخيانة حتى الوداد والحبّ انمحت معالمه من قلوبهم. ورغم ذلك فإنه يمني قلبه المريض بالأماني الجميلة ويحمله على الصبر لعلّ الأمور قد تتبدّل، وإن تمادى بكرهه لتلك العلاقات المريضة.

تُـعَـيِّـرُنـي الـعِـدا بِـسَـوَادِ جِـلْـدي،
وَبِـيـضُ خَـصَـائِـلـي تَـمْـحُـو الـسّـوَادا[١]
سَـلـي يـا عَـبْـلَ قَـوْمَـكِ عَـنْ فَـعَـالـي
وَمَـنْ حَـضَـرَ الـوَقـيـعَـةَ وَالـطِّـرَادا[٢]
وَرَدْتُ الـحَـرْبَ، وَالأَبْـطـالُ حَـوْلـي
تَـهُـزُّ أكُـفُّـهَـا الـسُّـمْـرَ الـصِّـعَـادا[٣]
وَخُـضْـتُ بـمُـهْـجَـتـي بَـحْـرَ الـمَـنَـايـا
وَنـارُ الـحَـرْبِ تَـتّـقِـدُ اتّـقَـادا[٤]
وَعُـدْتُ مُـخَـضَّـبـاً بـدَمِ الأعَـادي
وكَـرْبُ الـرّكـضِ قـد خـضَـبَ الـجـوَادا[٥]
وَكَـمْ خَـلّـفْـتُ مِـنْ بِـكْـرٍ رَدَاحٍ
بـصَـوْتِ نُـوَاحِـهَـاً تُـشْـجـي الـفُـؤادا[٦]

(١) لم يجد الأعداء مطعناً في عنترة سوى سواد الجلد، ولكن ما يُحيل السواد إلى بياض حسن بلائه في كلّ مجال.

(٢) يطلب الشاعر من عبلة أن تستخبر عن حسن فعاله قومها، فهم أعلم من غيرهم، وإن لم تكتف، فعليها أن تسأل من شارك بالحروب معه أو إلى جانبه، فهم يعلمون حقّ العلم ما يفعل يقيناً صادقاً.

(٣)، (٤) والشاعر يخبر عبلة بدوره ما فعله بالأعداء؛ إنه وسْط الميدان والأبطال يحيطون به كما يحيط بالمعصم السوار، والأبطال يحرّكون الرماح السمهريّة المستقيمة تخويفاً، فإذا به لا يهاب يخوض عُباب ذلك البحر الدامي الرهيب، وتلك النار المشتعلة التي تأكل الأخضر واليابس.

(٥) عاد البطل وقد اغتسل بدماء الأعداء، حتى الجواد نابه من ذلك نصيب لكثرة جولانه، فإذا به مغطًّى بالدماء والعرق يتصبّب منه.

(٦) الرداح من النساء: الثقيلة الأوراك. تشجي: تحزن. إنها الصورة المحزنة =

وَسَـيْـفـي مُـرْهَـفُ الـحَـدّيـنِ مَـاضٍ
تَـقُـدُّ شِـفَـارُهُ الـصّـخْـرَ الـجَـمَـادا[١]
وَرُمْـحـي مـا طَـعَـنْـتُ بـهِ طَـعـيـنـاً،
فَـعَـادَ بـعَـيْـنِـهِ نَـظَـرَ الـرَّشَـادا[٢]
وَلَـوْلا صَـارِمـي وَسِـنَـانُ رُمْـحـي
لـمـا رَفَـعَـتْ بَـنُـو عَـبْـسٍ عِـمَـادا[٣]

لا مال لمن ليس له مجد

يشكو أهل زمانه ويمدح جماعة من قومه كان يعتمد عليهم في مهماته:

[الطويل]

لأيّ حَـبـيـبٍ يَـحْـسُـنُ الـرّأيُ وَالـوُدُّ،
وَأكـثـرُ هـذا الـنّـاسِ لـيـسَ لـهـم عَـهـدُ[٤]

= للحرب، فالشاعر كثيراً ما ترك نساءً يولولْن، يبكين أزواجهن، وقد ترك الحزن والحسرة في قلوبهن لفقدهن من يحميهن من غدرات الزمن.

(١)، (٢) يتحدث الشاعر عن سلاحه الرهيب؛ فسيفه ماضٍ ذو حدّين بإمكانه أن يقطع الصخر ويبريه، ورمحه يخترق الأجساد حتى لا يُفلح المطعون بعد ذلك، فلا يرى شيئاً على حاله، فقد شلّ عنترة فيه كل قدرة.

(٣) إن الشاعر يفخر بنفسه، فهو حامي بني عبس وعزّهم فبسيفه ورمحه شاد لهم مجداً لا تمحوه السنون والأيام.

(٤) يتبرّم الشاعر من أحداث الزمان المتعدّدة الوجوه، وأخطرها بلا ريب العلاقات الإنسانية، وبخاصة الأحبّة، ها هوذا الحبيب لا يحسن ودّه ورأيه فاسد ينمّ عن ملال وخِداع؛ وهذا حال سائر البشر، فليس لهم عهد.